(صدقة السر)

– **المسألة**: منذ صغري كفاني الله وآواني ولم يحوجني إلا إلى وجهه الكريم، ولكن في الشدة التي نعيش وفي الأخبار التي نسمع بدأت أخاف على نفسي وأهلي أن تقل النفقة، أسمع آياتِ الرزق وأحاديثَه فأطمئن، ثم أسمع أخبار الغلاء والحصار فأضطرب، وما بين اضطراب واطمئنان أسأل: هل من عمل أعمله أنجو به من هذه الشدة وأسلم به من هذه الضائقة؟ أرشدوني.

– **الدليل الإرشادي**: في دليل اليوم أمر واحد، لمن أراد أن ينجو من هذه الشدة ولمن رجا أن يسلم من هذه الضائقة.

إنه الخبيئة، إنه الماء التي تطفئ غضب الرب، إنه مكفر السيئات، إنه الوسيلة التي تسأل بها ربك السلامة، إنها صدقة السر.

– **أيها الإخوة**: الصدقة محمودة في السر والعلن، وقد قرأت في القرآن الكريم آيات تتحدث عن إخفاء الصدقة وإعلانها وتتحدث عن نجاة المتصدقين إذا اشتد الكرب وطما الخطب. ففي سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274] وفي آية ثانية من سورة البقرة: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 271] فالصدقة محمودة مشكورةٌ ظاهرةً وخفية، سراً وعلانية، تنجي صاحبها من الهلكة وتدخله في قوم لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزنوا، وتجعل عاقبة الدار لهم في الدنيا والآخرة ويكفر الله عنهم بها سيئاتِهم ويوفيهم أجورهم ويزيدُهم من فضله.

– وستتحدث خطبة اليوم عن صدقة السر: قال ابن كثير في تفسير ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: (فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضلُ من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، ونحو ذلك، والأصل أن الإسرار أفضل، لهذه الآية).

– إنّ صدقة السر من خير ما ينفع في هذه الأيام، فمن استطاع أن تكون له خبيئةٌ من صدقة فليفعل، يصل بها أخاه ويطفئ بها غضب الله، يعين بها أهل النائبات ويستنزل بها الرحمات، يساعد بها أهل الحاجة ويتوسل بها لله عند الحاجة، كما توسل الذين أووا إلى الغار، ولا زال الصالحون يستحبُّون أن يكون للرجل خبيئةٌ من عملٍ صالحٍ، لا تعلم به زوجته ولا غيرها. أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه قال سيدنا الزبير بن العوام ﷺ: «من استطاع منكم أن يكون له خَبء من عمل صالح فليفعل».

– روت كتب التراجم عن سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ كان إذا صلى الفجر خرج إلى الصحراء فاحتبس فيها شيئاً يسيراً، ثم يعود إلى المدينة، فعجب عمر ﷺ من أمره فلحقه، فدخل الصدّيق خيمة ولبث فيها قليلاً، فلما خرج دخل عمر ﷺ إليها فإذا فيها عجوز ضعيفة وعندها صبية صغار، فسألها عمر: من هذا الذي يأتيكم؟ فقالت: لا أعرفه ولكنه رجل من المسلمين يأتينا كل صباح فيكنس بيتنا، ويعجن عجيننا، ويحلب شاتنا، فخرج عمر وهو يبكي. إنها صدقة السر!.

– كان عمر بن الخطَّاب ﷺ يتعاهد الأرامل فيستقي لهنَّ الماءَ باللَّيل، ورآه طلحةُ ﷺ باللَّيل يدخلُ بيتَ امرأةٍ، فدخلَ إليها طلحةُ نهاراً، فإذا هي عجوزٌ عمياءُ مقعدةٌ، فسألها: ما يصنعُ هذا الرَّجلُ عندك؟ قالت: هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني؛ يأتيني بما يُصلِحُني، ويُخرِج عنِّي الأذى، فقال طلحة: ثَكِلَتكَ أمُّكَ طلحةُ، عثراتِ عمر تتَّبع؟. إنها صدقة السر!

– ذنوب الخلوات سبب الانتكاسات، والطاعات المستورات سبب كشف الكربات، وإنّ الله يحب العبد التقي الغني الخفيّ، وكلما زاد المسلم في إخفاء الطاعات كلما زاد ثباته، كالوتد المنصوب، يثبت ظاهره بقدر خفاء أسفله في الأرض.

والحمد لله رب العالمين